



كان ينبغي أن تأتي هذه المقالة في عقب مقالة "الجيش الوطني": عدو الوطن الجديد، ولكن مصر شغلت القلب والقلم، فإن المسلمين جسد واحد هم واحد وألمه واحد ومصبه واحد، وليس تنفصل مأساة سوريا عن مأساة مصر إلا لو انفصل بعضُ جسدِ المرء عن بعض.

حسناً، لقد اعترفت في المقالة السابقة بأن "أمراء الحرب" صاروا في سوريا ظاهرة حقيقة وصاروا مشكلة من أسوأ المشكلات، فإن رئيس ما يسمى "الائتلاف الوطني" عندما تعلل بهم لإنشاء "جيش الصحوات" لم يتعطل بباطل بل بحق، ولكنه حق أريد به باطل. والسؤال الذي يهمنا جوابه هو:

ماذا ينبغي أن نفعل بهذه المشكلة؟

البعض يقترحون تأجيل حلها والتفرغ لقتال العدو الرئيسي، نظام الاحتلال الأسدية الطائفية، آخرون يقولون: بل إن تقديم قتال أولئك "الأمراء" المخربين واستئصال تلك العصابات المفسدة أولى وأهم. وأنا مع الفريق الثاني.

* * *

لقد سكتنا عن تلك الظاهرة يوم كانت صغيرة في أولها فكترت واستشرت وتمكنت، ولو تركناها مزيداً من الوقت فقد يأتي يوم نفقد فيه القدرة على علاجها، وإن علاجها مقدم على علاج مشكلة الاحتلال الأسدية نفسها.

لماذا؟ لثلاثة أسباب على الأقل:

أولها أن تلك "العصابات" حولت حياة الناس في كثير من مناطق سوريا إلى جحيم، حتى صار كثيرون يتمنون عودة النظام إلى مناطقهم للتخلص من شرها! لو شئت لسميت المناطق التي تعاني من تلك المشكلة الخطيرة، ولكنني أمسك عن ذكرها حتى لا أسيء إلى الكتائب والجماعات الصالحة التي تعيش في المناطق ذاتها، فقد اختحل الصالح بالطالح حتى صارت سمعة جيش الثورة في بعض المناطق أسوأ من سمعة جيش النظام!

السبب الثاني: تلك العصابات (التي تتحرك باسم الجيش الحر وتتسمى بأسماء برّاقة مُوهّمة) صارت عائقاً يعوق وصول الدعم إلى المجاهدين الصالحين الأخيار، فإن كثيراً من الداعمين باتوا يُحْجِّمون عن تمويل مناطق بأعيانها لأنها صارت موبوءة بهم، فيخشى صاحب الدعم أن يصل دعمه إلى الأيدي القدرة لا إلى الأيدي النظيفة، فيترك تلك المنطقة جملة واحدة ويزهب يبحث عن غيرها من المناطق التي لم تتلوث بتلك العصابات.

عندئذ تزداد الكتائب الصالحة ضعفاً وتزداد الكتائب الطالحة قوة، ومع الوقت تنتقل المنطقة كلها إلى احتلال جديد يحل فيه أمراء الحرب الجدد محلّ النظام القديم.

السبب الثالث: صارت تلك العصابات أخيراً عقبة حقيقة في طريق النصر، لأن كثيراً منها يصطدم مع الكتائب الصالحة ويستهلك قواها في معارك جانبية، ومنها من يتحالف مع النظام ويفتح له مرات يلتّفّ عبرها فيهاجم المجاهدين من وراء ظهورهم، وقد تكررت هذه المأساة في أكثر من منطقة، فإن "أمراء الحرب" الفاسدين لا يقاتلون إلا من أجل المال والغائم، فإذا جاءهم المال من النظام باعوا من أجله إخوانهم في الجبهات ولا يبالون.

ثم إن كثيراً من تلك العصابات مرهونة لممولين مرتبطين بأجهزة المخابرات الأجنبية التي تريد تطويق الجهاد السوري وإجهاض الثورة بخطط ومؤامرات خبيثة، وقد صار واضحاً أن أجهزة المخابرات المذكورة تستعين بتلك العصابات وأنها قد اشتربت مجموعة كبيرة من أمراء الحرب وسخرّتها في حرب المجاهدين الحقيقيين،وها قد رأينا بعض آثارها الخبيثة في معركتي حمص والساحل، حيث استمرت لشهور طويلة تعوق معركة تحرير حمص وتساهم في تثبيت خطوط التماس وتعذر تقدم المجاهدين عبر بعض الجبهات الحيوية، ثم كشفت سوأتها تماماً في معركة الساحل (التي قلبت الموازين وأربكت حسابات أعداء الثورة) فرأينا تلك العصابات التي تزعم أنها من الجيش الحر، رأيناها تقطع طرق إمدادات المجاهدين المتوجهة إلى جبهة الساحل من حلب وإدلب، فإذا جاءت إمدادات للنظام انسحب وتركت لها حرية المرور والعبور بلا مضايقات!

* * *

في الشهر الأول من العام الماضي، أي قبل تسعه عشر شهراً، نشرت خمس مقالات ضمن سلسلة سميتها "العمل المسلاح": "الوحدة أو إجهاض الثورة"، حذرت فيها من التفرق وفوضى السلاح، وكانت الثالثة منها بعنوان "أخلاق السلاح قبل حمل السلاح"، قلت في آخرها:

"لقد أذرركم، وإنما أنا نذير ليس لي من الأمر شيء؛ عالجوها هذا الأمراليوم ولا ترکوه حتى يستفحّل ويستعصي على العلاج، إياكم أن تتهاونوا أو تتأخّروا فتفلت الأمور وتسود بيننا فوضى السلاح لا سمح الله.

إنني أحذركم يوماً يأتي على الناس يقولون فيه: ألا ليت عهد الأسود يعود! إياكم أن توصلوا الناس إلى نطق هذه الكلمة، لو فعلتم وفعلوا فلن يسامحكم الناس ولن يسامحكم التاريخ.

هذا نداء لكل عاقل ولكل شخص حمل السلاح، أرجو أن يُسمع وأن يُعمل به قبل فوات الأوان. اللهم إني قد بلّغت.

لقد ناديت فلم يصل النداء، فإن صوتي ضعيف وقرائي قليلون، وهذا أنا أكرر اليوم النداء والرجاء بعد أكثر من سنة ونصف سنة عسى أن يصل إلى من لم يصل إليه أول مرة: لا توصلوا الناس إلى نطق تلك الكلمة.

هذه الوصيّة ليست موجّهة إلى عامة الناس بل إلى كتائب وجماعات الثورة، وأخص من بينها بالنداء الجبهة الإسلامية لتحرير سوريا وجبهة تحرير سوريا الإسلامية.

تقولون: وماذا نصنع؟

الجواب: لقد صار اجتماعكم في كيان واحد فريضة شرعية، فإنكم لن تستطعوا مواجهة المؤامرة الكبرى التي تحاك لكم ولسوريا فرادى مشتتين.

فإنْ أعجزكم الاتّحاد الكامل في كيان واحد فلا أقلَّ من الاجتماع في هيئة تنسيقية عامة، ولا بد من إنشاء جهازٍ لا غنى عنهما في كل منطقة: "غرفة عمليات مشتركة" لإدارة العمليات العسكرية، تضم كل الكتائب والجماعات العاملة في المنطقة، وقوّة ردّع مستقلة تنشأ من اجتماع مقاتلين متّخِّبين من تلك الكتائب، يمكن أن تسمى "كتيبة الأمن العام" أو "كتيبة حفظ النظام" (أو أي اسم آخر، فلا مشاحة في الاصطلاح) تتخصص في حماية المدنيين وحفظ الأمن في المناطق المحررة، وفي ملاحقة كتائب اللصوص وقطعان الطرق وعصابات المفسدين.

لقد آن الأوان لتصحيح مسار المعركة؛ فليكن استئصال العصابات والقضاء على أمراء الحرب أولوية في الخطط العسكرية في سوريا كلها. آن الأوان للقضاء على سوس الثورة قبل أن يفتاك بالثورة والثوار.

* * *

الخلاصة:

في كل منطقة كتائب وجماعات صالحة مخلصة نظيفة، فلتتفق على الاجتماع في غرفة عمليات مشتركة لا مكان فيها للفاشيين المخربين، ثم لتتفق تلك الكتائب والجماعات على ملاحقة وتصفية العصابات الفاسدة المخربة والقضاء عليها قبل الشروع في العمليات العسكرية الكبرى ضد النظام، ولتقعَّد قاعدة مهمة: أيّما كتيبة جديدة تدخل إلى المنطقة أو تنشأ فيها لا بد لها من الانضواء تحت المظلة العامة، فإنّما أن تكون كتيبة صالحة فتنضم إلى "غرفة العمليات المشتركة" وتصبح جزءاً من الحرب الصريحة على النظام وعلى الفساد والتخريب، أو تكون خصماً وعدواً فينبغي قتالها وتخلص الناس من شرها.

* * *

ملاحظة خاتمية مهمة:

لم أفرق في هذه المقالة بين ما يسمى جماعات جهادية، فالكل فريق واحد هدفه تحرير سوريا وإسقاط النظام، وكلها يجب أن يصنف صفاً واحداً في محاربة العصابات المفسدة التي تعيش من أجل المال والمعنى فحسب، والتي تعتمد على المدنيين وقطعان الطرق وتفرض الإتاوات وتنهب الممتلكات العامة والخاصة، والتي يتعاون بعضها مع النظام ومع أعداء الثورة تعاوناً مفضوحاً ويغدر بالمجاهدين.

الزلزال السوري

المصادر: